

## "سقوط الدول والحضارات في المفهوم الإسلامي، قراءة في كتاب "التفسير الإسلامي للتاريخ

إحسان برهان الدين أمين

مدرس في جامعة حلبجة/ كلية التربية الأساس / قسم اللغة العربية

ملخص البحث: يتناول البحث مسألة سقوط الدول والحضارات من المنظور الإسلامي عموماً والقرآني تحديداً، ويعرض أسباب وأبعاد ودلالات تدهور تلك الدول والحضارات إسلامياً بإزاء الاتجاهات الفكرية لرموز الفلسفة الوضعية ليتبين الفارق بين النظرتين الإسلامية و الوضعية لتلك المسألة، والبحث في جملته. عبارة عن استقراء لهذه القضية المنهجية من كتاب " التفسير الاسلامي للتاريخ" للاستاذ عماد الدين خليل

### المقدمة

تعد الحضارة الإسلامية من الحضارات الحية القابلة للانبعاث و النهوض بعد الكبوات تارة أخرى، ذلك أن عوامل الانبعاث والنهوض كامنة فيها مغروسة في بنيتها وضامنة لديومتها، وهذا ما يميز هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات التي سادت ثم بادت

لكنها - من جانب آخر - كغيرها من الحضارات إذا خالفت سنن الله تعالى في الكون و لم تتجنب عوامل التدهور والسقوط لحقها ما يلحق غيرها من التداعي حتى يعود أهلها إلى انتهاج سنن الله تعالى في الانتصار. و العلو في الأرض.

هذا وقد سعى الباحث في هذا البحث جاهداً أن يبين عوامل تدهور الدول والحضارات وسقوطها من المنظور الإسلامي و القرآني تحديداً، وإبراز الفلسفة الإسلامية ومنهجه في ذلك، من خلال قراءة متأنية للفصل المتعلق بهذا الموضوع في كتاب " التفسير الإسلامي للتاريخ" الذي ألفه الأستاذ عماد الدين خليل في سبعينيات القرن المنصرم، والبحث إجمالاً يتكون من مبحثين اثنين

أما المبحث الأول فقد تم التطرق فيه إلى سيرة الكاتب وتعريف موجز بكتابه ، أما المبحث الثاني فقد خصص بشكل كامل لقراءة كتاب التفسير الاسلامي للتاريخ لاستجلاء نظرة الكاتب إلى الموضوع من المنظور القرآني.

ويأتي أهمية البحث في حل إشكالية التقاء المفهوم الاسلامي لسقوط الحضارات مع المذاهب الفلسفية في بعض جوانبها ظاهراً حين النظر إليها لأول وهلة، وتباينها مع تلك المذاهب أشد التباين -حين التدقيق - عندما يخوض المفهوم الإسلامي في عمق الأسباب الخلقية و المعنوية التي تقف وراء تدهور الحضارات و سقوطها .

هذا وقد انتهج الباحث في بحثه منهج استقراء الأسس الاسلامية التي أوردها المؤلف فيما يتعلق بسقوط الحضارات واستخلاص النتائج المتعلقة بذلك اعتماداً على الآيات القرآنية التي بنى الكاتب عليها رؤاه و أفكاره عليها واستنبط نتائجها على ضوءها، مع التوسع أحياناً وإيراد ما يُرى ضرورته على نصوص المؤلف دون المساس بفتحواه ومضامينه العامة، أو تحميل كلامه ما لا يحتمل

أما المصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث فقد جاء في مقدمتها كتاب " التفسير الإسلامي للتاريخ " لأنه كان المحور الذي دار حوله جزئيات البحث، وكتب أخرى للمؤلف مثل سيرته الذاتية والاستفاة من غيرها مما له صلة وثيقة بالموضوع، وكذلك وجد الباحث من الضرورة بمكان أن يستفيد من بعض الرسائل الأكاديمية التي كتبت حول جهود المؤلف التاريخية، إضافة إلى كتب معاجم المؤلفين و الفلاسفة مما تستدعي الضرورة لتسليط الضوء عليه

وقد شكل عدم وجود بحث متخصص - فيما اطلعنا عليه - من منطلق المفهوم الاسلامي لسقوط الدول والحضارات، يتناول ما تناوله الكاتب تحديداً نوعاً من الصعوبة للبحث، بل الكتابة الأكاديمية لعرض الموضوع من منظور القرآن تكاد تكون شحيحة من أساسها، وهذا بحد ذاته شكل نوعاً من الصعوبة لمسار البحث .

.والله الموفق ومنه تعالى نستمد العون والمدد

"المبحث الأول:أضواء على سيرة الكاتب و كتابه " التفسير الإسلامي للتاريخ

المطلب الأول: نبذة عن سيرة الأستاذ عماد الدين خليل

:سيرته

ولد عماد الدين خليل في مدينة الموصل في العراق عام ١٩٣٩م، وأنهى المرحلة المدرسية فيها، ثم التحق بجامعة بغداد وحصل على درجة البكالوريوس في التاريخ عام ١٩٦٢، والماجستير في التاريخ الاسلامي من الجامعة نفسها عام ١٩٦٥م، وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي عام ١٩٦٨م، واستمر في متابعة دراسته العليا و لم ينقطع عنها<sup>١</sup>

كانت والدته عماد الدين خليل تقرأ كثيراً وهو يقول بأنه تعلم منها القراءة، ووالده كان كذلك أيضاً، وقد كان لوالده بصمات خاصة كذلك، فاجتمع لعماد الدين هذا الوعي من والديه، حيث نظرا في توجيه سلوكه، وتقويم العود وهو طري، وهو ماسماه عماد الدين التأثير الوراثي، الذي يجيء عن طريق الأب و الام إذا كانا يتميزان بحساسية مفرطة تجاه العالم و الأشياء

وقد تمكن حب والده من قلبه؛ حتى ربط اسمه بقية عمره باسم والده ... وسبب هذا في نظره العشق الشديد للأب، والرغبة في إظهار شيء من الوفاء معه، لما عرف من إيمان والده، وتقواه والتزامه، وثقافته الشعبية، وتأثيره الإيجابي في التربية

وحين بلغ والده قرابة التسعين من عمره كانت عيناه قد كلتا، لهنه في القراءة، فقد كان يجلس في محله التجاري ليزاول بيعه و شراؤه، ولا يكتفي بذلك بل يتناول وجبات القراءة، حيث يطلب الكتب من ابنه<sup>٢</sup> "عماد الدين، مما كاد أن يكون سبباً في فقدان بصره

ويبدو أن الأستاذ عماد الدين خليل كان يضيق ذرعاً بالمناسبات العائلية و والاجتماعية وغيرها والتي كان يجري فيها الحديث حول الماديات و أمور الحياة العامة، بل كان يشعر بالاختناق، حيث يقول: مفارقة كانت تعذبني كثيراً، إن معظم أقبائي كانوا من التجار او المحاسبين، يتعاملون مع الأرقام ومع الأشياء، وكنت أجد نفسي مرغماً على ان أجلس معهم أيام الجمع والأمسيات العائلية، وكنت أحس باختناق! وأشعر أني محاصر<sup>٣</sup>. تماماً وأنا أجلس الساعات الطوال أمام الناس لا يتحدثون إلا في عالم الأشياء و التجارة والبيع و الشراء

مكانته العلمية

<sup>١</sup> - المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل، د. جبر محمد الخطيب، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، ص ١٨٩، يونيو ٢٠١٢.

<sup>٢</sup> - عماد الدين خليل وواه النقدية، عبد الحكيم راشد الشبري، رسالة ماجستير غير منشورة في الادب مقدمة الى جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٠، ص ٥٥-٥٦.

<sup>٣</sup> - المصدر نفسه، ص ٥٧.

عمل عماد الدين خليل في التدريس الجامعي بجامعة الموصل، وتدرج في العمل الأكاديمي حتى حصل على رتبة أستاذ في ١٩٨٩م، وتنقل للتدريس الجامعي بين عدد من الجامعات العربية و الإسلامية حتى تقاعد من العمل الأكاديمي عام ٢٠٠٥م.

لعماد الدين إنتاج علمي وفير؛ فقد كتب في التاريخ، والفكر الإسلامي، والأدب الإسلامي، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية في العديد من البلدان العربي والإسلامية والأوروبية، واشترك مع بعض الأكاديميين في صياغة مناهج التاريخ لعدد من الجامعات، وساهم في إنجاز العديد من المواد العلمية التاريخية. وأشرف على العديد من طلبة الدراسات العليا في تخصص التاريخ الإسلامي، والحضارة، ونظراً لمكانة خليل العلمية والفكرية، فقد كتب عن أعماله رسائل علمية وترجمت له بعض المؤلفات إلى اللغات الأجنبية<sup>٤</sup>

عمل أستاذاً للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية آداب جامعة صلاح الدين في أربيل للأعوام ١٩٨٧-١٩٩٢م، ثم في كلية تربية جامعة الموصل ١٩٩٢-٢٠٠٠م، فكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، بالإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠-٢٠٠٢م، فجامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، عام ٢٠٠٣م، فكلية آداب جامعة الموصل ٢٠٠٣-٢٠٠٥م التي أعارت خدماته لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك - الأردن، لفصلين دراسيين عاد بعدها للعمل في كلية آداب جامعة الموصل حتى إحالته على التقاعد عام ٢٠٠٩م لكي يعين بعدها أستاذاً متمرساً في الكلية ذاتها. هذا إلى تعيينه أستاذاً محاضراً في قسم الدراسات العليا لكلية الإمام الأعظم في الموصل.

#### مؤلفاته:

تعد قائمة المؤلفات الخاصة بالأستاذ الدكتور عماد الدين خليل قائمة متنوعة تتسم بالعناوين المتميزة في شتى الجوانب التاريخية والفكرية والفلسفية والأدبية والنقدية والإبداعية، فقد انتشرت كتبه كثيراً في العالم العربي

<sup>٤</sup> - المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل"، ص ١٩٢.  
<sup>٥</sup> - نبذة عني، الموقع الالكتروني الخاص بالأستاذ الدكتور عماد الدين خليل.

والإسلامي واستقبلت من قبل المثقفين و المختصين بحفاوة ، وبالرجوع إلى مذكرات الكاتب نجد أن مؤلفاته توزعت على هذه المحاور الرئيسية وسنستشهد لكل محور من محاوره التأليفية ببعض الكتب كأمثلة

ويتضمن عشرة كتب، منها: التفسير الاسلامي للتاريخ، ابن خلدون إسلامياً، المنظور : المنهج والفلسفة - ١  
التاريخي في فكر سيد قطب

ويتضمن خمسة كتب منها: دراسة في السيرة، ملامح الانقلاب الاسلامي في خلافة : السيرة والتراجم - ٢  
عمر بن عبد العزيز، عماد الدين زنكي

ويشتمل على ستة كتب، منها: دراسات إسلامية، المقاومة الاسلامية للغزو : البحوث و الدراسات - ٣  
الصلبي، الوحدة و التنوع في تاريخ المسلمين

قضايا في التاريخ المعاصر: وفيه ثمانية كتب، من بينها: أضواء على مأساتنا في افريقيا، لعبة اليمين - ٤  
واليسار، أمريكا مرة أخرى

العلم في مواجهة المادية، تحافت العلمانية، :الاعمال الفكرية: ويندرج تحته اثنان وعشرين كتاباً، منها - ٥  
غربيون يتحدثون عن الاسلام

المقالات الاسلامية: وفيه ثمانية كتب، من بينها: في دائرة الضوء، العالم ينتظر البديل، أحاديث نبوية - ٦  
تطل على العصر

الأعمال الأدبية: وفيه ثلاثة وثلاثين كتاباً، منها: فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر، مدخل إلى - ٧  
٦. نظرية الادب الاسلامي، مسرحية المأسورون

المطلب الثاني: التعريف بكتاب " التفسير الإسلامي للتاريخ

يندرج كتاب التفسير الاسلامي للتاريخ ضمن الكتب المنهجية و الفلسفية التي ألفها الاستاذ عماد الدين خليل، ويعد الكتاب - كما صرح الكاتب بنفسه - أول محاولة من نوعها تشهدها المكتبة الاسلامية المعاصرة، والكاتب أقدم على تلك الخطوة بملؤه الأمل و الوجل وهو يسأل المولى أن يبارك له فيها و يسدده لإيصالها إلى منتهاه، يقول عماد الدين خليل عن كتابه: " ولا زلت أذكر كيف أني عندما بدأت العمل في

<sup>٦</sup> - ينظر: أشهد ان لا إله إلا انت، سيرة ذاتية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير الطبعة الاولى ٢٠١٩، ص ٩٦٥ فما بعدها.

كتابي ( التفسير الإسلامي للتاريخ) وهو المحاولة الأولى التي تشهدها المكتبة الاسلامية في العصر الحديث، لم تكن لدي الفكرة المتكاملة، او خطة البحث بتفاصيلها الدقيقة، ومع ذلك فما أن بدأت حتى تدخلت المعونة الالهية وساقطني كما لو كنت مجرد منفذ لإرادتها العليا، صوب إتمام الموضوع بفصوله الأربعة عبر أشهر معدودات...فيا سبحان الله، كنت أردد مع نفسي..كيف لي أتيح لي إنجاز هذا الكتاب الذي ستستقبله بترحاب ( دار العلم للملايين) على نزعتها العلمانية ، وتعيد طبعه المرة تلو المرة، دون أن أبذل في تأليفه جهداً كبيراً، إنها مرة أخرى إرادة الله التي تسوق الإنسان حيث ما خلصت النيات إلى حث ماتريده هي لا<sup>٧</sup> " ما يريد الإنسان

^: يقول الشيخ عبدالرحمن البشير

لقد كتب الدكتور عماد الدين خليل كتابه ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) في وقت مبكر من حياته ، ونشرته دار العلم للملايين البيروتية عام ١٩٧٥م ، وتعرض الكاتب في المقدمة للأهمية البالغة التي يعطيها القرآن للمسألة التاريخية ، وملامح المنهج الإسلامي في التعامل مع التاريخ ، ثم ناقش في فصل تال التفاسير الوضعية للتاريخ ليعرف مكان القوة والضعف فيها ، ويفعل ذلك لأجل أن يمكن للقارئ فهم التاريخ والسنن والمناهج ، ومن ثم يجعل القارئ يتقرب أكثر إلى التفسير الإسلامي من خلال المقارنة العلمية . والموضوعية .

غاص المؤلف في الفصول التالية في الواقعية التاريخية من المنظور القرآني ، وناقش بشكل مستفيض العروض التاريخية للقرآن في امتدادها المكاني والزماني ، والرؤية المستقبلية ، والهدف الأساسي من إيراد القصص ، والنتائج المتمخضة عن دراسة التاريخ ، وناقش الفعل التاريخي من خلال الإنسان ( القدر والحريّة ) ، ودور البطل والجمهور ، ناقش كل ذلك في فصل كامل ، ولكنه ناقش في فصل آخر البعد الحضاري في المنظور القرآني ، كما بحث في فصل رابع سقوط الدول والحضارات من خلال القرآن ، ولاحظ ذلك بشكل شمولي

<sup>٧</sup> - أشهد ان لا إله إلا أنت، عماد الدين خليل، ص ٤٩٩.

<sup>٨</sup> - عبد الرحمن سليمان بشير من جمهورية جيبوتي، داعية، ومثقف، وناشط سياسي، وباحث في الشؤون الإجتماعية، وقضايا القرن الأفريقي، خريج كلية الشريعة والقانون، عمل في السلك التعليمي، والقضائي، والإنساني، وممارس الخطابة منذ نعومة أظفاره، وما زال، وله مقالات حول الدين والسياسة والفكر، ويعيش الآن في كندا.

في اتجاهات السقوط ، ودرس في كتابه مسالة المسؤولية التاريخية بين القيادة والقاعدة ، وصيغ التدهور<sup>٩</sup>. السقوط إن كتاب التفسير الإسلامي للتاريخ مهم جدا لمن أراد أن يفهم التاريخ

كتاب التفسير الاسلامي للتاريخ يعتبر من الكتب الرائدة المهمة التي تناولت الرؤية القرآنية لحركة التاريخ، وفي مقابل ذلك سعى المؤلف من خلال إحاطته الجيدة بالمناهج التاريخية وتخصه في ذلك الميدان ان يجري مقارنة بين الرؤية القرآنية و المناهج الفلسفية الوضعية التي تفسر حركة التاريخ

وعموماً فالكتاب يتكون من أربعة فصول، حيث تناول الكاتب في الفصل الأول منه التفاسير الوضعية الأساسية بادئاً بالتفسير المثالي لهيجل، وتلا ذلك حديثه عن التفسير المادي لماركس و انجلز، وختم الفصل بتناوله للتفسير الحضاري لتوينبي، وقد كان في تعامله مع هذه التفسيرات جميعها عارضاً لها وناقداً إياها بعد ذلك .

أما في الفصل الثاني فقد كانت له أربع و قفات مع الواقعة التاريخية والأساليب التي عرضها بها القرآن، فهذا مخصص في مجمله لطريقة عرض القرن الكريم للواقعة التاريخ وذلك من خلال قصص الأنبياء

أما الفصل الثالث فقد أسهب فيه المؤلف بالحديث عن المسألة الحضارية وبين فيه انها تشكل النقطة المشتركة بين كافة تفسيرات المذاهب التاريخية

والفصل الرابع و الأخير هو الذي كان مقصد هذا البحث وقد حاولنا ان نتبين من خلال استقراءنا له الخطوط المنهجية العامة التي تكمن وراء تدهور الحضارات و سقوطها من المفهوم الاسلامي عموماً والقرآني خصوصاً

المبحث الثاني: الرؤية الإسلامية لسقوط الدول والحضارات من خلال قراءة لكتاب " التفسير الإسلامي للتاريخ

يمتاز كتاب التفسير الإسلامي للتاريخ - ولاسيما الفصل المتعلق منه بسقوط الدول و الحضارات - للدكتور عماد الدين خليل، بالتعمق و إعمال الفكر والرؤى السديدة للآيات القرآنية واستخلاص الدروس منها، فهو لا يكتفي بأن يستنتج من مجموع الآيات المتعلقة بمحور الحضارات و الدول فهماً واضحاً يعرضه كحقيقة

<sup>٩</sup> - نشر الكاتب هذا التعريف على صفحته الرسمية في شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك.

ربانية متناسقة مع السنن، وإنما يستنبط منها القواعد الدقيقة والرؤى الواضحة البريقة من كل غبش مما يعتري أفكار البشر، فهو كمؤرخ صاحب مرجعية، يسعى بالإستناد إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تقعيد القواعد المتعلقة بتفسير التاريخ ويثبت بإزاء ذلك - في الوقت ذاته - الرؤى الوضعية لأشهر الفلاسفة من أصحاب المدارس الفكرية والفلسفية، وكأنه بذلك يهدف إلى إظهار الفارق جلياً بين حكمة الله البالغة في البلاد و العباد وبين نتاجات البشر التي تصيب تارة وتُخفق أخرى.

والحق أن الكاتب تناول هذه المسألة تحديداً والقضايا الحضارية والفلسفية و المنهجية بوجه عام في كتب أخرى مثل: تهافت العلمانية، ولعبة اليمين واليسار، ومدخل إلى الحضارة الإسلامية وغيرها منطلقاً من تخصصه في التاريخ تارة وتضلعه في التأليف كمفكر ومؤرخ راسخ القدم تارة أخرى.

لقد خصص عماد الدين خليل الفصل الأخير من مؤلفه الموسوم بـ ( التفسير الإسلامي للتاريخ) وسماه بـ ( سقوط الدول والحضارات) وكأنه من خلال استكناه دلالات القران ودراسته إياها وصل إلى أن مآل كل شيء و إن طال بقاءه إلى التدهور والزوال، بيد أنه في دراسته الرائدة يعرض الفلسفات الوضعية وينتقدها تارة، ويعرض - بإزاء ذلك - الفلسفة الإسلامية و النظرة القرآنية تارة أخرى.

ولكن ما يميز دراسته - في نظر الباحث - أنه ينتهج الأناة و الروية والتعمق في الاستدلال منهجاً يسير عليه و يسير على ضوءه أغوار النصوص ليصل في آخر المطاف إلى صياغة قراءته لتلك النصوص على شكل قواعد و أصول ربانية لا تتخلف على أرض الواقع.

قسم الكاتب حديثه عن سقوط الدول والحضارات في المفهوم الاسلامي إلى ستة محاور، فقد تدرج في دراسته من عرض الموضوع من منظار الفلسفات الوضعية إلى أسباب السقوط و تحمل القيادة و القواعد لمسؤولية ما يجل بالجماعة الإنسانية من الجانبين السياسي و الإداري لينتقل بعد ذلك إلى عرض الطرق الناجعة من المفهوم الإسلامي لتفادي لعب الزعامات القابعة على رأس السلطة بالقواعد التي تصبح بعجزها شريكاً لتلك الزعامات، ثم يقف في أعقاب ذلك وقفة مع مسألة التوازن بينه من زوايا شتى كشرط للاستخلاف، و تسفر وقفاتة و رؤاه تلك آخر الأمر إلى أن نتائج العصيان وعقابه غير محصورة بالآخرة بالضرورة، بل تشمل الدنيا أيضاً، ويختم قراءته في النصوص بالحديث عن أشكال السقوط في القران الكريم وأن السقوط ليس ما



يتبادر الى الذهن لأول وهلة من الدمار وحسب، لذا سنعرض فحوى دراسته ونميط اللثام عن ما تضمنه . بحث الكاتب من أسباب ونتائج

### المطلب الأول: سقوط الدول والحضارات بين المفهومين القرآني و الوضعي

تناول الكاتب في الفصلين السابقين لهذا الفصل الذي نحن بصدد اسقراءه، عرضاً لأبرز الفلسفات الوضعية التي فسرت التاريخ وفق مناهجها ومدارسها، حيث أعاد خلاصتها وخطوطها العريضة مرة أخرى لارتباطها الوثيق بالموضوع، وهو في ضوء دراسته يقرر بأن معظم مذاهب التفسير الوضعي تكاد تجمع على القول .بجتمية سقوط الدول والحضارات، بشكل أو بآخر

في مثاليته "يرى الناس و المجتمعات والدول في<sup>١٠</sup> النظرية المثالية: أشار المؤلف ابتداءً إلى أن هيغل -١ ممارساتهم و تجاربهم التاريخية كأدوات مرحلية يستخدمها العقل الكلي في فترة زمنية محدودة، ثم ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكي يجيء ذلك اليوم الذي يكون التاريخ فيه بشتى معطياته، تعبيراً متجلباً<sup>١١</sup> "كاملاً لهذا العقل

وصيرورة الحضارات نحو السقوط هو مفهوم سائد عند هيغل و غيره من الغربيين و هم يعتبرون بأن " جميع المدنيات أجسام عضوية تشبه الكائنات الحية، إنها تمر في جميع أدوار الحياة العضوية التي تمر بها: إنها تولد ثم<sup>١٢</sup> "تشب وتنضج ثم يدركها البلى في آخر الأمر

يخضع حركة<sup>١٣</sup> النظرية المادية: بعد الإشارة العابرة إلى هيغل ونظريته المثالية أشار المؤلف إلى أن ماركس -٢ التاريخ، بدولها وحضاراتها وتجاربها، لحتمية تبدل وسائل الإنتاج و انعكاسه على ( الظروف) ويؤكد أيضاً بأن كل وضع تاريخي مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكي الدائم، لكن ماركس يقع في تناقض أساسي مع نظريته عندما يقرر (الدوام) و(الثبات) لمرحلة حكم الطبقة العاملة ( البروليتاريا) حيث لا زوال بعدها، وهذا

<sup>١٠</sup> - فيلسوف ألماني، ولد في شتوتغارت في عام ١٧٧٠م ومات بالكوليرا في برلين عام ١٨٣١م، لم ينشر هيغل في حياته إلا جزءاً يسيراً من نتاجه، منها موسوعة العلوم الفلسفية، وقد نشر أصدقاؤه بعد وفاته أعماله مثل: علم الجمال، فلسفة الدين، دروس في تاريخ الفلسفة، انقسم طلابه بعده إلى فريقين: يمين يؤلهون الدين ويسار انتهوا إلى اللاحاد. ينظر: شخصيات لها تاريخ، عبدالرحمن المصطاوي، ص ٢٨٠.

<sup>١١</sup> - التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، منشورات مكتبة ٣٠ تموز، العراق -نينوى، الطبعة الرابعة ١٩٨٦، ص ٢٥٥.

<sup>١٢</sup> - الغرب نحو الدرب، محفوظ العباسي، مطبعة الزهراء، الطبعة الأولى ١٩٨٧، ص ٣٢٤.

<sup>١٣</sup> - كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) فيلسوف اجتماعي ألماني، حرر البيان الشيوعي بالتعاون مع انجلز وأسس (الدولية الأولى) له ( رأس المال) وهو دستور الماركسية والظام الشيوعي. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة ٤٣، ٢٠٠٨، ص ٥١٧.

يشبه في إحدى جوانبه الديالكتيك الهيجلي الذي يؤول بحركة العالم إلى السكون وعدم التغيير بمجرد بلوغها<sup>١٤</sup>! .مرحلة تجلي المتوحد

أهما يعلنان عن<sup>١٦</sup> وتويني<sup>١٥</sup> النظرية الحضارية: وهنا يشير المؤلف إلى فيلسوفين مشهورين وهما شبنغلر - ٣ حتمية السقوط كأمر لا مفر منه، لكن - يقول عماد الدين خليل - بينما يغرق شبنغلر في تشاؤميته نجد تويني يقع في تناقض صريح هو الآخر، عندما يؤكد في الأجزاء الأخيرة من دراسته للتاريخ على ان هنالك أملاً في بقاء الحضارة الغربية المعاصرة بوجه الأعاصير، ومن هنا يتساءل المؤلف: فما هو الموقف الإسلامي في<sup>١٧</sup>: هذا الصدد، فيقول ما فحواه

التي<sup>١٨</sup> (هناك آية قرآنية ذات دلالة خطيرة في هذه المسألة ألا وهي آية: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوُهَا بَيَّنَّ النَّاسَ - ١ جاءت تعقياً على تجربة المسلمين التاريخية في معركة أحد فهي ذات مغزى عميق ويمكن استخلاص قاعدة أساسية منها وهي الإنقطاع و عدم الديمومة، كما أ قوله تعالى (بَيَّنَّ النَّاسَ) يستشف منه إفادة العموم لهذه السنة غير المتخلفة والشاملة للإسلام و المسلمين، بل إن ذلك ليتكرر في أماكن عديدة من القرآن الكريم كأجل لا مفر منه في وقته المحدد سلفاً في علم الله، ثم يستشهد بعد الآية السالفة اذكر آنفاً بـ ( هود: ٨،<sup>١٩</sup> (٤٨: الحجر: ٢٤، الأعراف: ٣٤، نوح: ٤، الحجر: ٤-٥، الإسراء: ٥٨، هود

المداولة توحى بالحركة الدائمة وبالتجدد والأمل وتقرر أن الأيم ليست ملكاً لأحد وعليه فلا داعي لليأس - ٢ والهزيمة، فمن هم في القمة فحركة الأيام ستزلهم إلى الحضيض، ومن هم في القاع ستصعد بهم حركة الأيام إلى القمة.

ما يميز الموقف الإسلامي هي حتميته التفاضلية، فهو نعم يقرر حتمية السقوط والانحلال، ولكنه يقرر في - ٣ الوقت نفسه إمكانية أية أمة أو جماعة أن تعود باستمرار لكي تنشئ دولة أخرى، أو تمارس القيادة الحضارية

<sup>١٤</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٥٥.

<sup>١٥</sup> - أوزفلد شبنغلر ولد عام ١٨٨٠، تلقى دراسته الثانوية ثم درس العلوم الطبيعية في جامعة برلين وحول بعدها للدراسة في جامعة ميونخ وليستقر في مدينة ميونخ اخيراً حيث قضى حياته في التأمل والدرس و عاش وحيداً في عزلة هائلة وحرية كاملة حتى وافته المنية في ١٩٣٦م. تدهور الحضارة الغربية، اشبنغلر، ترجمة أحمد الشيباني، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ج ١ ص ٨-٩.

<sup>١٦</sup> - أرنولد جوزف تويني مؤرخ بريطاني ولد في ١٤ أبريل ١٨٨٩ في لندن وتوفي في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٥. أهم أعماله موسوعة دراسة للتاريخ، وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين. ينظر: موسوعة ويكيبييا على الشبكة العنكبوتية.

<sup>١٧</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٥٦.

<sup>١٨</sup> - آل عمران: ١٤٠.

<sup>١٩</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٥٦-٢٥٧.

و العقائدية بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك وأولها عملية التغيير الداخلي المستفاد من قوله تعالى: إن القرآن الكريم -إذن- يطرح مبدأ التغيير الذاتي .<sup>٢٠</sup> ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . مقابل حتمية السقوط والمداولة كوسيلة للاستعادة

عميقاً، يبني موقفه على الخطيئة و التفكير، ووفق<sup>٢١</sup> (التفسير المسيحي والذي كان تأثيره على (تويني - ٤ ذلك فالأمم المسيحية مهما اقترفت من ذنوب و معاص حتى لو استعمرت الشعوب واستحيت نساءهم و قتلت ابناءهم فلا حرج عليها لأن السيد المسيح خلصهم بصلبه ورفع عنه المسؤولية، هذا بخلاف التفسير الاسلامي الذي يجعل من فعاليات الأمم المؤمنة حركة صاعدة مكتوبة بأحرف من نور، تتعرض هذه الأمم للارتفاع والانهيار اعتماداً على ممارساتها ومن هنا تبرز المسؤولية كعامل أساسي في توجيه مصائر الحركة التاريخية.

أن القرآن يؤكد على ان أي امة مؤمنة كانت أم غير مؤمنة، تحمل مسؤوليتها كاملة إزاء نفسها، أمام الله - ٥ - وأمام التاريخ ولن تحمل تبعة امة أخرى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ ٢٢) (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وهذه المسؤولية المستقلة إزاء الذات الجماعية تأتي تأكيداً بين التجربة البشرية ومصيرها الذي تؤول إليه تقدماً<sup>٢٣</sup> . و تطوراً أو تأخراً وانحلالاً

## المطلب الثاني: مستويات السقوط في المفهوم الاسلامي

السقوط لا يكون دفعة واحدة، وإنما يأتي على مراتب و مستويات شتى، وقد لاحظ الكاتب أن قضية (السقوط) خلال الأمة أو الجماعة الواحدة كثيراً ما ترد في القرآن بتعبير ( القرية) وذلك انسجاماً مع بنية التقسيم الاجتماعي الذي كان سائداً زمن نزول القرآن، وقد انكر أن يكون معنى السقوط متجهاً بصورة

٢٠ - الرعد: ١١.

٢١ - يقول كولن ولسن عن كثرة اقتباسات تويني من الانجيل: "ويلوح لنا من الوهلة الأولى أنه يبحث ذلك بحثاً رومانسياً أدبياً وهو يقتطف من كل صفحة مقتطفات من الانجيل" ويقول أيضاً: " وقد فتحت صفتين منه الان دون تعيين - يقصد كتاب تويني بحث في التاريخ - وعثرت على عشرة مقتطفات من الانجيل" ينظر: سقوط الحضارة ، كولن ولسن، ترجمة أنيس زكي حسن، دار الاداب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٢، ص ١٦٠.

٢٢ - البقرة: ١٣٤.

٢٣ - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٥٦-٢٦٤.

خاصة إلى الحضارة كتشكيلة كبرى وحسب، لأنها بخلاف الإمبراطوريات والدول والإمارات التي يحل بها السقوط، تواصل هي ديمومتها و بقاءها، على الأقل لآماد طويلة أخرى

فالسقوط - في المفهوم الاسلامي لا يقتصر على اتجاه واحد - وإنما تأخذ اتجاهات عديدة؛ فقد تكون سياسية و إدارية واقتصادية وأخلاقية واجتماعية و عقائدية..والقرآن إنما يطرح مبادئ عريضة وقواعد شاملة<sup>٢٤</sup>. في مجالات الحياة المختلفة دون التفاصيل

السقوط السياسي: وهنا يلفت نظرنا ابتداءً أن المسؤولية مشتركة بين القيادات والقواعد، فمن الناحية - ١ السياسية نجد معطيات القرآن الكريم تلقي بالمسؤولية على القيادات و القواعد على السواء، وذلك نظراً للعلاقة المتداخلة بين الطرفين، فالقيادة لا تمارس أخلاقياتها الحسنة و السيئة إلا بإقرار مكشوف أو ضمني من قبل القواعد حركة و سكوناً

فعلى مستوى القيادة يحدثنا القرآن أن ساعة السقوط تحين عندما يتسنى المسؤولية حفنة من المترفين الفسقة او الاداريين الظلمة أو المجرمين الطغاة الذين يستخدمون أقصى درجات القسوة و الطيش لصد قومهم عن الحق و اعتبار مبادئهم ورؤاهم وتشريعاتهم الذاتية القاصرة المفككة، الحدود النهائية لموقف الانسان في العالم: (يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بِئْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آتَىٰ ۖ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>٢٥</sup>

إن التعبير القرآني بالروعة المتناهية المعروفة عنه، يصور هؤلاء الطواغيت وهم في قمة الجاه و الثروة و السلطان، أدوات بيد الله تعالى، يسخرهم من حيث لا يدرون، لإنزال عقابه العادل بطرفي الجريمة: السلطة التي تظلم و القاعدة التي ترضى بالظلم<sup>٢٦</sup>.

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ - (٢٧) (أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا<sup>٢٨</sup>) (وَوَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ -

<sup>٢٤</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٦٥.

<sup>٢٥</sup> سورة غافر/ الآية ٢٩.

<sup>٢٦</sup> التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٦٧.

<sup>٢٧</sup> -الإسراء، ١٦- ١٧.

<sup>٢٨</sup> - الانعام، ١٢٣.

ولكن ما هو البديل؟

بغية ان تظل مقاييس السلطة والقيادة ثابتة و موضوعية، فقد طرح القرآن الكريم البديل في أكثر من آية وعلى أعرض جبهة يمكن أن يتحرك عليها المسؤولون عن قيادة الأمم والشعوب، جبهة التلقي عن الله وحده، والتزام قيم الحق و العدل، ومواصلة العطاء عن هذا الطريق

٢٩. (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) -

٣٠ (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) -

٣١. (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) -

وأما من الناحية الإدارية، فترى الكاتب يتحدث عن علاقة طردية مفادها: كلما :السقوط الإداري - ٢ زادت القيادة ظلماً وطغياناً، كلما أصيب الجهاز الإداري - الذي هو الاداة التنفيذية لسياسات والعكس صحيح أيضاً، أي كلما جسدت القيادة ، ٣٢ الدولة - بالتفكك و الاضطراب و العجز السياسية في نفسها قيم العدل والحق كلما تماسكت أواصر الدولة و صمدت بوجه عوامل التدهور .والسقوط.

ويستشهد الكاتب من التاريخ الاسلامي بشواهد على هذه الحقيقية لإثبات النظرية بالواقع المجسد للعيان،

فتراه يتخذ من الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز و غيرهم نماذج حكموا على أرض الواقع

أما أصحاب المذاهب فإنهم يطرحون أقوالاً تثير الإعجاب وآمالاً تفوق الخيال، حتى إذا ما بلغوا سُدة الحكم

تنكروا لمبادئهم وانقلبوا على دعواتهم بالأمس وأصبحوا رموزاً للفساد كأن لم يكونوا هم المنادين بها،

وقد وصف عماد الدين خليل حال هؤلاء بأنهم يمارسون لعبة الإزدواج بين الفكرة و السلطة،

وسيصبحون لاحقاً أدوات مسخرة تقود الجماعة التي سمحت لهم بممارسة الظلم الى الدمار و

٣٤ البوار

:ثم يورد الكاتب مصداق ذلك من الآيات ومنها قوله تعالى

٢٩ التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٦٨.

٣٠ الأعراف، ١٥٩.

٣١ الأنبياء، ٧٣.

٣٢ القصص، ٨٣.

٣٣ التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٦٨.

٣٤ - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ٢٦٩.

<sup>٣٥</sup> (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) -

<sup>٣٦</sup> (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) -

<sup>٣٧</sup> (وفي خطوة حيادية و منصفة من الكاتب نراه يشير إلى الأديب والفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر

كونه تحدث في كتابيه: ( الدوامة) و ( الأيدي القدرة) عن التجربة نفسها، لكن عماد الدين خليل

انتبه إلى أن سارتر وعدداً من كبار المفكرين عرضوا هذه التجربة من الخارج فقط، ولم يتمكنوا من

تحديد المشكلة الحقيقية والسبب الرئيسي لها، وهي فقدان (الأخلاقية) التي تجيء ضماناً للقمة التي

يعلمها أصحابها، ويشير أيضاً إلى أن تلك الأخلاقية طالما لم تكن متحققة عند هؤلاء قبل ممارسة

الحكم، فلا عجب و لا غرابة ان تمارس تلك القيادات اللعبة وتتنكر لقيمها التي أعلنتها قبل تسلم

<sup>٣٨</sup>. السلطة.

موقف الإسلام إزاء المسألة الاجتماعية من جانبها الإقتصادي ودورها في التدهور والسقوط - ٣

يقرر الكاتب أن الإسلام كان واقعياً في تفسيره لهذه المسألة، حيث يطرح معادلة خطيرة و واضحة في الوقت

ذاته مفادها: إذا اختفى العدل وانعدم التوازن ظهر الغنى الفاحش والترف، ولأن الاسلام عالج

الترف والغنى الفاحش بطبيعة الحال، فمعنى ذلك أنه يريد مجتمعاً متوازناً، ولم يقف الامر عند هذا

وحسب، وإنما مدّ القرآن تحليله إلى أعماق النفس و أمداء العلاقات الاجتماعية من سائر جوانبها

المادية و الروحية والفكرية و الاخلاقية، لكي يبين ويلقي أضواءه على الترف كعامل من عوامل دمار

<sup>٣٩</sup>. الحضارات وسقوطها

ويعود الكاتب تارة أخرى ليؤكد على الأهمية الخطيرة التي يشكلها سكوت الشعب على الترف كممارسة

مدمرة، بل يشير إلى أبعد من ذلك عندما تبلغ الانهزامية بهم حد التملق و المداهنة، وأنشد يُعْمِي

الثراء الفاحش المترفين أنفسهم ويطمس على أرواحهم ويسحق كل إحساس أخلاقي أصيل في

نفوسهم، ومن ثم، يربط الكاتب بين موضوعه وبين الحديث عن الفرضية الماركسية القائلة بأن الدين

لا يعدو أن يكون جزءاً من الاخلاقيات و الممارسات البورجوازية، ليقرر على ضوء دراسة لمسألة

<sup>٣٥</sup> - البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.

<sup>٣٦</sup> - إبراهيم: ٢٨-٢٩.

<sup>٣٧</sup> - جان بول سارتر، كاتب و فيلسوف وناقد أدبي فرنسي، ولد في باريس في ١٩٠٩ ومات فيها في ١٩٨٠، استاذ الفلسفة في جامعة هافر، عرف برفاقته الدائمة للفيلسوفة و الأديبة سيمون دي بوفوار، له مؤلفات كثيرة منها: الوجود والعدم، نقد العقل الجدلي، الغثيان، العاهرة الفاضلة وغيرها كثير.. ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٤٨ فما بعدها.

<sup>٣٨</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٧٠.

<sup>٣٩</sup> ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٧٢.

سقوط الدول و الحضارات، أن التحليل القرآني يقف في تضاد كامل مع تلك الفرضية، ثم يعقب ذلك بالاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ) -  
٤٠ (يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ  
وفي ضوء الاية الكريمة يستنتج الكاتب ان البعد الحقيقي و الأهم لما يؤول إليه الترف هو إنكار النبوات و  
٤١ . القيم الغيبية والكفر بهما والتكذيب بالآخرة

وهناك ملحظ مهم آخر، وهو أن عاقبة الترف لا يختص بالبعض دون البعض الآخر، وعليه، فالمسلمون وغيرهم في ذلك سواء، فالترف سبب و السقوط نتيجة، كائناً من كان المترفون، وقد وقف قبل الكاتب عند خطورة الترف وتأثيره في سقوط الحضارات العلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة كثيراً، كقوله: " قد استقرينا في العمران أنّ الدولة إذا اختلت وانتقضت فإنّ المصير الذي يكون  
٤٢ " كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانها وربما ينتهي فيانتقاضه إى الخراب، ولا يكا ذلك يتخلف  
ولذلك يعلنها عماد الدين خليل صريحة مدوية قائلاً: (وما أكثر الدويلات الإسلامية، وغير الإسلامية، التي كان الترف يكمن وراء تدهورها و سقوطها، وما أشد الحاجة لأن نعود لتفحص هذا الجانب المهم من تاريخنا على ضوء المعطيات القرآنية وإشارات ابن خلدون، من أجل أن نضع أيدينا على الدور الذي لعبه ذلك التناقض اللاأخلاقي بين طبقات حاكمة تملك كل شيء تقريباً، وتمنح الشعراء الذين يمجدها، زيفاً وتملقاً و ارتزاقاً، أكياس الذهب والفضة، وتقضي ليالها الباذخة  
٤٣ في أجهى المباني وأفخم القصور، وبين قواعد محكومة لا تملك شيئاً تقريباً، لا خبزاً ولا سكناً  
إن ما يثير الإهتمام في هذا الصدد، ان الكاتب ماينفك في حديثه عن سقوط الدول والحضارات مؤكداً على دور القواعد التي تعين القيادات بشكل معلن أو ضمني في طغيانها، أو حتى بسكوتها الذي يعتبره الكاتب نوعاً من أنواع الإعانة، وبلك ومن منظور قرآني واضح يقرر بأن تعليق المسؤولية وحصرها في القيادات السياسية وحسب أمر غير صحيح ولا سديد

المطلب الثالث: ما المطلوب من القواعد كي لا تلعب بها القيادات؟

٤٠ - المؤمنون، ٣٣-٣٤.

٤١ - ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧٢-٢٧٣

٤٢ - المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص ٣٠٢.

٤٣ - التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٨٠.

هنا في هذه الجزئية من الدراسة، يصبح الكاتب أكثر دقة وصراحة، ويضع النقاط على الحروف، ويسند الواجبات إلى من يتحتم عليهم القيام بها، ويبدأ رأس الحديث بهذا السؤال: ما الذي يطلبه القرآن من القواعد كي لا تلعب (عليها) و (بها) الزعامات الطاغية، والطبقات المترفة؟

إن القرآن - ابتداءً - يطلب من القواعد وهم عامة الشعب، أن يتحركوا لرد الظلم وأن يرفضوا الانتماء - ١ - إليه، وإذا عجزوا عن ذلك لأي سبب قاهر من الأسباب، حين ذلك يتوجب عليهم أن يغادروا إلى أي مكان، فأرض الله واسعة، وليس معنى ذلك إرشادهم إلى الفرار، وإنما لفك الارتباط المخزي: قال تعالى <sup>٤٤</sup> بالسلطة والعودة لاحقاً بوعي أفضل وقوة أكثر

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۗ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۖ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ۗ وَالْوَالِدَانَ لَا يَسْتَضِعُونَ حِيلَةً ۗ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا <sup>٤٥</sup>

القرآن يندد بالذين اختاروا الالتصاق بالظلم والعمل تحت إمرته على رفضه و الانشقاق عليه: (وَسَكُنْتُمْ - ٢ - و يبرز القرآن أهمية <sup>٤٦</sup> (في مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ <sup>٤٧</sup> (المهجرة قائلاً: (يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ

وينبه القرآن أيضاً تلك القواعد المؤمنة إلى حقيقة مهمة وهي ان العقاب سينزل على رؤوس الجميع - ٣ - مدوياً مزلزلاً شاملاً دون تفریق بين ظالم ومظلوم: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا <sup>٤٨</sup> (أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

ويدعو القرآن على المستوى الجماعي الخارجي ان يتمسكوا بالوحدة، وان ينؤا بأنفسهم عن الانشقاقات - ٤ - و المنازعات التي تفكك وحدتهم و تقضي عليها، يقول تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا

<sup>٤٤</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٨٥.

<sup>٤٥</sup> النساء: ٩٧-٩٨.

<sup>٤٦</sup> - ابراهيم: ٤٥.

<sup>٤٧</sup> - العنكبوت: ٥٦.

<sup>٤٨</sup> - الأنفال: ٢٤-٢٥.



نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ  
﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>٤٩</sup>

وهنا يطرح عماد الدين خليل سؤالاً مهماً بهذا الصدد، ألا وهو: كيف تستطيع الجماعة المؤمنة أن تحفظ وحدتها من التمزق والتفكك و الدمار؟ وسرعان ما يبادر بالإجابة عنه مستنبطاً الجواب من القرآن الكريم فاقولاً:

إن القرآن يطرح أمامنا التزامين أساسيين، لا لضمان هذه الوحدة و ديمومتها و حسب، بل لتنميتها و توسيعها عمقياً و عمودياً، لتحويلها إلى صيرورة دائمة نحو الأحسن و الأرقى في ممارساتها و في معطياتها على السواء.

الالتزام الأول التزام أخلاقي، يرمي إلى تكوين أخلاقية خاصة بالجماعة المؤمنة تنبثق في أعماق الفرد لكي ماتلبث أن تعطي لونها للعلاقات الاجتماعية كلها.. إن القرآن الكريم يطرح سلماً من القيم الأخلاقية، كثير الدرجات، بعيد الأمتداد، من خلال مئات من الايات المنبثقة هنا وهناك.. ولا جدال في أن القيم الخلقية المنبثقة عن الرؤية الإيمانية والحس الديني، تكتسب موضوعية في ميدان العلاقات وعمقاً في ميدان الذات لا نجد عشر معشارها في الأخلاقيات الوضعية المبنية على الموقف المصلحي والتبرير البراغماتي<sup>٥٠</sup> (...)(العملي)<sup>٥١</sup>

إذاً فقد حدد عماد الدين خليل من خلال استنباطه القرآني، ان العاصم من تفكك كيان الجماعة التي تؤدي الى السقوط آخر المطاف هو الإلتزام الأخلاقي بمعانيه و أمدائه الواسعة التي تشمل الصدق و الأمانة و تحمل المسؤولية والشجاعة والصبر والإخلاص والتضحية والإيثار ومقاومة إغراءات الشهوة والتجرد والصمود، وأن ذلك يستدعي بالضرورة - كنتيجة منطقية - التوقي من النقائص السالبة لتلك الاخلاقيات كالكذب و الغش و التزوير و التهرب و الجبن و الجزع والاثرة والانسحاق وراء إغراءات الشهوة والمنفعة وغيرها.. داعياً المسلمين افراد و جماعات إلى مكافحتها دون هوادة

<sup>٤٩</sup> - آل عمران: ١٠٣.

<sup>٥٠</sup> - البراغماتية: مشتق من اللغة اليونانية براغما ومعناه العمل، مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، والفكرة الصحيحة هي الفكرة الإيجابية، أي الفكرة التي تحققها التجربة فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية. ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٠٣.

<sup>٥١</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٨٨-٢٩٠.

وعلى ذلك وفي ضوء الآيات القرآنية يستنتج الكاتب ما يشبه المعادلة الرياضية الواضحة: كلما ارتقى الانسان و المجتمع سلم القيم الخلقية كلما تقدم خطوات إلى الأمام وامتلك مزيداً من ضمانات الديمومة والتطور، والعكس صحيح.

وهذا ما أكد عليه خليفة المسلمين الأول، أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما خاطب منتخبه في كلمته الأولى لهم: "إنه ما شاعت الفاحشة في قوم قط إلا ضربهم الله بالذل" وتبلغ رؤية الخليفة الأول مداه - في نظر الكاتب حيث أن ذلك هو <sup>٥٢</sup> - عندما يردف ذلك بقوله: "وانه ما ترك قوم الجهاد قط إلا عمهم الله بالبلاء الإلتزام الآخر.

ويعلق الكاتب على الشرط الثاني أو لالتزام الثاني بعد الالتزام الخلقى بأنه عبارة عن حركة المسلمين الدائمة في العالم لاسقاط القيادات الجاهلية الضالة، وإتاحة حرية الاعتقاد لانسان حيثما كان هذا الإنسان بغض انظر عن الزمن و المكان والجنس و واللون و الثقافة و الانتماء

وهكذا حصر الكاتب حماية الجماعة المؤمنة لوحدها و خلاصها من التفكك، بالتزامين اثنين: أولهما الالتزام الأخلاقي بمعناه الواسع، وثانيهما الجهاد كهدف إيماني يدفعهم إلى تجاوز السكون والتحرك الدائم إلى أهداف أبعد فأبعد ويستنتج من هذا الالتزام كما استنتج من الالتزام السابق قاعدة أخرى أشبه بالمعادلة الرياضية مفادها: حيث سادت روح الجهاد مجتمعاً اسلامياً ما، تمكن من حماية وجوده، و ضمان ديمومته و إبداعه الحضاري ونشاطه في العالم، وحيثما افتقدت هذه الروح الجهادية وطمس عليها في مجتمع من آخر فقد مبرر وجوده.. والتاريخ المعاصر - في نظر عماد الدين خليل - فيه عشرات الأمثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة. <sup>٥٣</sup>

#### المطلب الرابع: التوازن شرط الاستخلاف

القرآن الكريم يحتوي على حقائق أساسية تمت إلى مسألة سقوط الدول والحضارات بصلة قوية، ومن بين تلك الحقائق التي أكد القرآن عليها هي مسألة التوازن، قال تعالى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي

<sup>٥٢</sup> - الخطبة أوردتها ابن هشام في سيرته : ٢٤٠/٤، و عيون الأخبار لابن قتيبة : ٢٣٤ / ٢. وأورده ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية (٣٠٥، ٣٠٦/٦) وقال: إسناده صحيح.

<sup>٥٣</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٩١-٢٩٢..

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ أَي : وزن بميزان ) :<sup>٥٤</sup> قال القاسمي (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ .<sup>٥٦</sup> ...) الحكمة ، وقدر بمقدار تقتضيه ، لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان

لكن ما يهمنا هنا هو <sup>٥٧</sup> بل إن بعض العلماء يتحدث عن علم قرآني مستقل برأسه عنوانه علم التوازن التوازن بين قيم الروح و المادة كما وصفه عماد الدين خليل أثناء حديثه عن قضية سقوط الدول والحضارات، فقد أشار إلى أن حشوداً من سور القرآن ومقاطعته تتناول التوازن في التكوين الآدمي المنبثق عن نفخة الروح و قبضة التراب، وانطلاقاً من استقراء ما كتبه الباحث في هذا الصدد يمكننا تثبيت الحقائق الآتية حول مسألة التوازن كشرط للاستخلاف كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، وبالتالي كعامل من عوامل سقوط الحضارات والدول عند فقدانها

إن أي خلل يحصل في ذلك التوازن الذي يدعو اليه القرآن كشرط للاستخلاف، سيؤول إلى تفكك - ١ وانحلال الفرد والجماعة وتمزقها.

إن مسألة التوازن عميقة في نسيج القرآن تتخذ مسارات شتى، فمثلاً نلاحظ إحدى الآيات تأمر بني آدم - ٢ بأخذ الرينة عند كل مسجد (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)<sup>٥٨</sup>

إن المحرم في الإسلام هو الفاحشة وحسب، سواء كان مصدرها الروح أو الجسد، (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي - ٣ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا<sup>٥٩</sup> (عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

<sup>٥٤</sup> - الحجر:١٥.

<sup>٥٥</sup> - جمال الدين القاسمي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدمشق ونشأ وتعلم بها، رحل الى مصر وزار المدينة وعاد إلى دمشق فانقطع في منزله للتصنيف والقاء الدروس الخاصة و العامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية إلى ان توفي، من تصانيفه الكثيرة: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، إصلاح المساجد من البدع و العوائد، ودلائل التوحيد.انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٣ ص ١٥٧-١٥٨.

<sup>٥٦</sup> - تفسير جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٧، تفسير سورة الحجر، تفسير قوله تعالى والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي.

<sup>٥٧</sup> - من هؤلاء إبراهيم مجد عوير مؤلف كتاب (القرآن الكريم والفيزياء الحديثة).

<sup>٥٨</sup> - الاعراف:٣١.

<sup>٥٩</sup> - الاعراف:٣٢.

إن كبت الغرائز هو تزوير للموقف الإنساني على الأرض والشرك بالله هو أكبر تزوير، ومن هنا كانت - ٤  
فَيُظَلِّمُ مِّنَ ) : قال تعالى .<sup>٦٠</sup> الممارسة الانسانية التي تعتمد على التزوير مرفوضة مهما صغر حجمها او كبر  
<sup>٦١</sup> (الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا

وفي إدراج الشرك بالله تعالى كسبب من أسباب تدهور الحضارات وسقوطها من قبل الكاتب، إدراك لعظم  
هذا العامل المفصلي من عوامل السقوط وإحاطة بحقيقته من الوجهة العقائدية في الإسلام، لذلك فـ " إن  
الشرك الذي يقع فيه الإنسان له آثاره الوييلة في دنياه وآخرته، سواء كان الواقع فيه فرداً او جماعة، فمن تلك  
الآثار: إطفاء نور الفطرة و، القضاء على منازع النفس الرفيعة و، القضاء على عزة النفس ووقوع صاحبه في  
<sup>٦٢</sup>"العبودية الذليلة و، تمزيق وحدة النفس البشرية و، إحباط العمل

الحلال هو القاعدة العريضة في ميادين الإشباع الغريزي جميعاً والتحریم مسألة استثنائية، محدودة - ٥  
قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ) :<sup>٦٣</sup> المساحة، بل إن القرآن يعتبر توسيعها بشكل اعتباطي كفراً وافتراء أعلى الله  
وكثير من الآيات <sup>٦٤</sup> (سَقَّهَا يَغِيْرَ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۖ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ  
الأخرى على هذا الغرار

وعلى هذا فلا غرو أن " كان أول مبدأ قرره الإسلام: أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع، هو الحل  
والإباحة، ولا حرام إلا ما ورد نص صحيح صريح من الشارع بتحريمه، فإذا لم يكن النص صحيحاً - كبعض  
<sup>٦٥</sup>"الأحاديث الضعيفة- أو لم كن صريحاً في الدلالة على الحرمة، بقي الأمر على أصل الإباحة

قرر الكاتب استنتاجاً من آيات كثيرة العدد واضحة الدلالة بأن الله تعالى سخر الأرض بما ينسجم - ٦  
وتركيب الانسان كي يواصل عليه مسيرة الإعمار وعبادة الله في الأرض، إنه لمن التناقض المرفوض في القرآن  
قطعاً، ان تسخر الأرض للانسان، ثم تجيء الأديان لتضع الحواجز بين متطلبات التركييب الآدمي ووبين  
<sup>٦٦</sup> خيرات الأرض ومنافعها المسخرة

<sup>٦٠</sup> - التفسير الاسلامي للتاريخ، ٢٩٧.

<sup>٦١</sup> - النساء: ١٦٠.

<sup>٦٢</sup> - الإيمان بالله، علي مجد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ٢٠١١، ص ٢٥٩.

<sup>٦٣</sup> - التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٩٧.

<sup>٦٤</sup> - الأنعام: ١٤٠.

<sup>٦٥</sup> - الحلال والحرام، يوسف القرضاوي، المكتب الاسلامي، دمشق ١٩٨٠، ص ٢٠.

<sup>٦٦</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٢٩٨.

قال تعالى: (وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
ومعنى ذلك أن الله تعالى سخر لكم هذه الاشياء لمنافعكم وانواع مصالحكم، بحيث لا تستغنون<sup>٦٧</sup> (يَعْتَلُونَ  
عنها أبداً، فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون في معاشكم ومنافع دينكم و دنيائكم،  
وبالشمس والقمر من الضياء والنور والاشراق وواصلح الاشجا والثمار والنبات وتجفيفالرطوبات وإزالة  
٦٨. البرودة الضارة للارض والابدان وغير ذلك من الضرورات والحاجيات التابعة لوجود الشمس و القمر

واخيراً لا آخراً، فإن عماد الدين خليل يؤكد على أن أهمية العلاقة بين الانسان وحاجياته المادية الجسدية -٧  
علاقة صميمية وحبه لاشباعها مركز في أعماقه وطبيعته، كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ  
ولكن تميز القرآن<sup>٦٩</sup> النَّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسْوَمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ  
عن سائر المذاهب والنظريات أنه يضع أهدافاً أعلى وقيماً أوسع، بحيث يتيح للانسان تأدية مهمة  
الاستخلاف الارضي بحالة من التوازن الفذ، ويدعو المؤمنين في الوقت ذاته إلى التشبث بمعايير التوازن وبيّن  
لهم بأن أي جنوح نحو المادية و إهمال الروح يعد شذوذاً وتزييفاً للموقف البشري على الارض، وعلى هذا  
فالقران الكريم يطرح قاعدة التوازن العريضة لكي يحمي التجربة البشرية في العالم من التفكك و اتشتت  
٧٠. والدمار

المطلب الخامس: نتائج العصيان لا تقتصر على الآخرة بل تكون في الدنيا أيضاً

تناول الكاتب في دراسته عن سقوط الدول والحضارات من منظار دقيق، فقرر ابتداء أن العصيان بمفهومه  
العام عامل من عوامل السقوط لا محالة، وفند الفكرة التي قد تخطر على البال لأول وهلة ومفادها حصر  
العقاب على يوم الحساب دون الحياة الدنيا، وإن مما يوهم بتبني ذلك الانطباع قد يكون ناشئاً عن القراءة  
اللا متعمقة لبعض الآيات التي توحى ظواهرها بذلك كقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا  
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارِ)<sup>٧١</sup>

<sup>٦٧</sup> - النحل: ١٢.

<sup>٦٨</sup> - تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠، ص٤٣٧.

<sup>٦٩</sup> - آل عمران: ١٤.

<sup>٧٠</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص٢٩٩-٣٠١. وتناول هذا الموضوع أيضا في كتابه: تهافت العلمانية.

<sup>٧١</sup> - إبراهيم: ٢٨-٢٩.

ولا يتبين ما قرره الكاتب إلا بالتمعن والإحاطة بالمسألة من أطرافها من المنظور القرآني، وتلك طبيعة القرآن تكتسب الإحاطة بأبعاده وإدراك كنهه وأهدافه بالتدبر، لذلك فالمولى جل في علاه " يتساءل باستنكار (أَفَلَا وتدبر القرآن: يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش <sup>٧٢</sup> (يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ! <sup>٧٣</sup> القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير

ولو حاولنا إيجاز ما يرمي إليه الكاتب من إبراز دور العصيان في تدهور الحضارات و سقوطها من المفهوم القرآني تحديداً لقلنا

ليس هناك تعليق للجزء على المستوى الجماعي التاريخي إلى يوم البعث، والخارجون عن التوجيه الإلهي - ١  
(: <sup>٧٤</sup> سيجدون العذاب ينتظرهم في الأرض قبل السماء، عذاباً موجهاً إلى النفس تارة و إلى الجسد أخرى <sup>٧٥</sup> ) (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

كما ان القرآن يقدم صيغاً واضحة عن الارتباط بين المصيرين: الإيمان بالله على ضوء التعاليم التي حملها - ٢  
الأنبياء جيلاً بعد جيل والذي سيؤول مصيره إلى سعادة الدارين، والكفر بالله الذي سيؤول إلى التلقي عن قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي ( <sup>٧٦</sup> الزعامات الطاغية والشقاء في الدارين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا <sup>٧٧</sup> ) خَالِدُونَ

<sup>٧٨</sup> ) (وتجيء الآية الحاسمة في هذا المجال: ( نَا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ - ٣  
ويأتي السؤال الذي يفرض نفسه على أذهان المؤمنين قبل الكافرين: كيف ذلك والأمم غير المسلمة تتولى القيدة و الحضارة؟

٧٢ - مجد: ٢٤.

٧٣ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الرابعة والثلاثون/١٩٧٢، ج٦، ص ٣٢٩٦.

٧٤ = التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٣٠٨.

٧٥ - الأعراف: ٢٢.

٧٦ - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٣٠٨.

٧٧ - البقرة ٣٨-٣٩.

٧٨ - غافر" ٥١.

يقول عماد الدين خليل جواباً على هذا السؤال ما مضمونه: حتى نكون موضوعيين مع انفسنا ومع القرآن وحركة التاريخ، لا بد من استقراء تاريخي شامل للتأكد من صدق النظرية القرآنية، أن نمد رؤانا صوب المستقبل كذلك لتتكشف لنا حقائق عدة

.من جهة كان مصير جميع الرسالات السماوية النجاح الحاسم -

.ومن جهة أخرى كان مصير جميع القيادات الطاغية الباغية الدمار الشامل -

الجماعات المؤمنة حتى في مرحلة كفاحها كانت أكثر سعادة و أعمق يقيناً من الجماعات الكافرة وهي -  
تتولى القيادة

ومن جهة ثالثة فإن السعادة تجربة شاملة معقدة و متشابكة، ولا يمكن القول بأن الجنوح المادي الذي -  
تميزت به قوى الكفر منذ فجر التاريخ و حتى الان يمثل تعبيراً عن السعادة بمفهومها الشامل، ولا يخفى مدى اتساع الشقاء و التعاسة المنتشرين في الحضارة الغربية

ولا بد من التفاتة صوب ماضي المسلمين، لمعينة الطاقات الحضارية الفذة وتسلم المواقع الأمامية على -  
كل المستويات عبر قرون الاسلام الأولى المليئة بالإيمان و الإبداع و التلقي عن الله وحده دون شريك، ثم ما أعقب ذلك من تعثر في الحركة التاريخية التي شابه الخضوع والذلة و الاستسلام للقوى الغازية بسبب مغادرة<sup>٧٩</sup> مواقع الإيمان والإلتزام و الإبداع

## الخاتمة

:في ختام هذا البحث، من الضرورة بمكان تلخيص النتائج في نقاط موجزة

تبين من معالجة الكاتب لمسألة سقوط الدول والحضارات، أن الفلسفات والمذاهب الوضعية تكاد تجمع -  
١- على حتمية سقوط الدول والحضارات على تفاوت يسير بينها في رؤاها

تداول الأيام في المفهوم الإسلامي يوحي بالحركة الدائمة للأمم صعوداً و هبوطاً ويتضمن بالتالي حتمية -  
٢- السقوط، لكن ما يميز موقفه من غيره إمكانية العودة واستئناف البناء و القيادة تارة أخرى

<sup>٧٩</sup> - ينظر: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٣١٣-٣١٦.

- للسقوط الدول والحضارات في المفهوم القرآني أبعاد سياسية و إدارية و اجتماعية، ومسؤولية اسقوط تقع - ٣  
على عاتق القيادات و كذلك القواعد التي تختار الصمت إزاء الفساد و الطغيان
- كي تتجنب القواعد لعب الزعامات بما لا بد لها من التحرك ورفض الظلم و حفظ وحدتها و التزام القيم - ٤  
الأخلاقية
- التوازن شرط للاستخلاف و تسنم القيادة و النجاة من التدهور و السقوط، فحيثما افتقد التوازن على - ٥  
مستوى الفرد و الجماعة و الدولة كان السقوط هو المصير المحتوم
- وتبين من نتائج البحث أيضاً أن جزاء الطغيان ليس معلقاً بالآخرة و حسب، إنما يعجل في الدنيا قبل - ٦  
القيامة أيضاً
- استقراء تاريخ البشرية يعتبر من الأهمية بمكان وهو يفصح عن النجاح الحاسم لجميع الرسائل السماوية - ٧  
و الدار الكامل لكل القيادات الطاغية
- ليس للسقوط في المفهوم القرآني صيغة واحدة محصورة في الدمار الشامل، فقد يتخذ السقوط صيغاً - ٨  
أخرى مثل التشتت و التنازل عن المركز القيادي
- الاستبدال الحضاري لا يجيء وفق أساليب مباشرة و إنما هو سنن الله في التاريخ وفق نواميس مرسومة لا - ٩  
تتخلف
- المصادر:

١. أشهد ان لا إله إلا انت، سيرة ذاتية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير الطبعة الاولى  
٢٠١٩.

٢. - المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل، د. جبر مُجَّد الخطيب، مجلة الجامعة  
الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني.

٣. الايمان بالله، علي مُجَّد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ٢٠١١.

٤. تدهور الحضارة الغربية، اشبنغلر، ترجمة أحمد الشيباني، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.



- ٥ . تفسير جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٧.
- ٦ . تيسير الكرمي الرحمن، عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠.
- ٧ . الحلال والحرام، يوسف القرضاوي، المكتب الاسلامي، دمشق ١٩٨٠.
- ٨ . سقوط الحضارة ، كولن ولسن، ترجمة أنيس زكي حسن، دار الاداب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٢.
- ٩ . شخصيات لها تاريخ، عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ١٠ . عماد الدين خليل ورؤاه النقدية، عبدالحكيم راشد الشبرمي، رسالة ماجستير غير منشورة في الادب مقدمة الى جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٠.
- ١١ . الغرب نحو الدرب، محفوظ العباسي، مطبعة الزهراء، الطبعة الأولى ١٩٨٧.
- ١٢ . في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الرابعة والثلاثون/١٩٧٢.
- ١٣ . معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، عالم الادب، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
- ١٤ . المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٥ . معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بلا طبعة و لا سنة الطبع.
- ١٦ . المقدمة، عبدالرحمن بن خلدون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥،
- ١٧ . المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة ٤٣، ٢٠٠٨.
- ١٨ . موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية..

..

## **Abstract**

The present paper deals with overview of Status and Civilization From the Islamic point of view. It's an induction of a chapter taken. From a book under the little The Islamic interpretation of history, By Emad Eddin Khalil. This chapter Compares between The positivist philosophy Understanding view regarding The overthrow of the States and Civilization moreover, It's discusses the level of overturn of Civilization. Finally lists the different forms overthrow and clarifies the role of Destination in the disappearance of Civilization.